بحوث الإعلام و الاتصال في البلدان العربية - من التبعية اللغوية و الفكرية الى مدرسة عربية أصيلة ومنفتحة على الآخر-

د.محمد شطاح

مقدمة

ارتبط البحث في علوم الإعلام و الاتصال في البلدان العربية ببداية نشوء اقسام و كليات الإعلام والاتصال، وتعود هذه الفترة في غالبية هذه الدول الى ما بعد الاستقلال، و ما رافقها من مجهودات للدولة الوطنية في مجال التعليم، وذلك عبر ارسال عدد معتبر من البعثات العلمية الى الجامعات الأوربية و الأمريكية ، قصد نقل الخبرة و التجربة في مجالي التدريس الإعلامي و البحث في مختلف حقول هذا الاختصاص. وإذا كان حقل علوم الإعلام و الاتصال جديد على البيئة التعليمية و البحثية العربية مقارنة بالحقول المعرفية الأخرى، فإن ذلك مرتبط أيضا بحداثة التجربة حتى في البلدان الغربية ،حيث بدأ الاهتمام ببحوث الإعلام و الاتصال في الثلاثينات من القرن الماضي في الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية في عدد من البلدان الأوربية.

وعموما فإن ما يمكن ملاحظته بخصوص التجربة ،هو تلك التبعية التي طبعت بحوث الإعلام و الاتصال في بداياتها، على المستويات الفكرية و اللغوية و المنهجية، الى جانب حالة من القطيعة المعرفية و اللغوية، تعود في الأصل الى هيمنة المدرسة الانجلوسكسونية على البحوث في بلدان المشرق العربي و المدرسة الفرنسية في البلدان المغاربية.

اليوم وبعد مرور اكثر من نصف قرن على استقلال هذه البلدان، هل يمكننا الحديث عن بداية تشكّل مدرسة عربية اللّسان و المنهج في مجال بحوث الإعلام و الاتصال ؟ وماهي الآليات التي بإمكانها تحقيق ذلك؟ وما الاضافة التي ستقدمها للغة العربية؟ هذه أهم النقاط التي نسعى الى معالجتها في هذه الورقة، ونأمل مزيدا من الإثراء والإضافة من خلال الحوارات و المناقشات التي ستشهدها جلسات المؤتمر.

أولا: بحوث الإعلام و الاتصال:

تشير العديد من البحوث و الدراسات الى التداخل الموجود بين مفهومي الإعلام و الاتصال، وتحفل أدبيات البحث في هذا المجال بالدراسات المقارنة بين المفهومين من حيث النشأة و التطور ومن حيث المجالات التي يهتم بها كل حقل. لكن يجب الإشارة في بداية هذه الورقة الى ان التطورات المتسارعة في وسائل الاتصال و ثورة تكنولوجيات المعلومات وزمن التفاعلية، قد ضيقت الفجوة بين المفهومين.

- **بحوث الإعلام:**

يقصد ببحوث الإعلام" الاطار الموضوعي الذي يضم كافة العمليات المتضمنة في الإعلام و الاتصال الجماهيري ،كما أنها تمثل الجهود المنظمة الدقيقة التي تستهدف توفير البيانات و المعلومات و النتائج العامة و التفصيلية عن الجمهور الموجه اليه الرسالة الإعلامية، وقنوات الاتصال و الوسائل الإعلامية و الاتصالية التي تستخدم كأساس في اتخاذ القرارات وتخطيط الجهود الإعلامية الصحيحة المتضمنة في المواقف الإعلامية و الاتصالية الفعّالة...إنها تعين مخططي الاستراتيجيات الإعلامية الصحيحة المتضمنة في المواقف الإعلامية المختلفة و في التعرف على المخرجات المتحققة ومدى مطابقتها للأهداف الإعلامية المحددة سلفا، مما يسهم في تقييم كافة الجهود الإعلامية

وتطويرها وتنميتها باستمرار".١

- **بحوث الاتصال:**

على خلاف بحوث الإعلام التي تهتم بكافة العمليات المتضمنة في العملية الإعلامية ،فإن بحوث الاتصال تتجه الى مجال اشمل إنها بإيجاز" مختلف الجهود العلمية و البحثية التي تتناول كل عناصر العملية الاتصالية ، وهي المرسل و الرسالة و المستقبل و الوسيلة و التشويش و التأثير و رد الفعل، ضمن مناهج ومقاربات علمية محددة ، ومن خلال أدوات تسمح بالاختبار و القياس، من أجل الوصول الى نتائج علمية تساعد على التعرف على مختلف الظواهر الاتصالية، والوصول في النهاية الى وضع خطط و استراتيجيات اتصال، تساهم في الجهود العامة لتنمية و تطوير المجتمع".٢

وقد تطورت بحوث الإعلام بصفة لافتة بعد الحرب العالمية الثانية، وشملت مجالات متعددة ومتنوعة تمثلت في:

١. دراسات وبحوث تناولت ما تم من ابتكارات في المجال الاقتصادي و بخاصة في البيئة الأمريكية المتفجرة بعد الحرب العالمية الثانية، و المتوجهة بكل قوة للاستثمار و العمل في السوق العالمية و الأوربية المنهارة بعد الحرب.
٢. بحوث في مجال التسويق و الإعلانات، قادها علماء علم النفس السلوكي ،وقد وظفت لاحقا و بشكل مكثف و عبر سائل الاتصال الجماهيري و الاتصال الشخصي، في التأثير على المستهلكين للسلع و الخدمات.
٣. بحوث توجهت نحو استخدام مختلف المناهج العلمية و الأساليب الاحصائية المتقدمة، في دراسة الظواهر الإعلامية و الاتصالية.

وعموما فإن بحوث الإعلام هي اليوم ضمن مجال أوسع، هو بحوث الاتصال التي تتناول عموما عناصر عملية الاتصال كما يوضحه الجدول التالي:

مجال الدراسة	المحور
وسائل الاتصال الجماهيرية ،القائم بالإعلام و الاتصال ، القوانين الناظمة للمطبوعات و المرئي و المسموع ،قوانين النشر، نظم الاتصال، الاتصال الشخصي وأشكاله، مواقع التواصل الاجتماعي ...الخ.	المرسل
المحتويات المختلفة لوسائل الاتصال الجماهيري و الاتصال الشخصي.	الرسالة
قنوات الاتصال الجماهيري و الشخصي.	الوسيلة (القناة)
التشويش الهندسي و الدلالي (اللغة و المعاني) ، و النفسي.	التشويش
الجماهير و المستخدمين لمختلف وسائل الاتصال وشبكات التواصل الاجتماعي.	المستقبل
تأثير الرسائل على الجماهير و البيئة المستقبلة لمحتويات الاتصال بمختلف أشكاله و انواعه.	الأثر
مخرجات العمليات الاتصالية و اتجاهات المستقبل (الجمهور).	رد الفعل

ثانيا: نشأة بحوث الإعلام و الاتصال في البلدان العربية:

عند الحديث عن نشأة بحوث الإعلام و الاتصال في البلدان العربية، لابد أن نؤكد أن ذلك ارتبط ببداية انشاء معاهد وأقسام للصحافة ، التي تطورت لاحقا الى أقسام للإعلام تدرّس فيها الصحافة و الراديو و التليفزيون، ثم إلى كليات للإعلام و الاتصال، تهتم بكل ما يتعلق بالإعلام و الاتصال ،بدءا بالصحافة و انتهاء بشبكات التواصل الاجتماعي و الإعلام الجديد.

وهنا يمكن الاشارة الى أن جامعة القاهرة كانت السبّاقة –في البلاد العربية – الى دراسة الظواهر الإعلامية و الاتصالية من خلال قسم الإعلام الذي يعود انشاؤه الى عام ١٩٣٩ وقد تحول الى كلية للإعلام بدءا من عام ١٩٧٥. وفي الجزائر بدء الاهتمام مع تأسيس المدرسة الوطنية للصحافة في عام ١٩٦٣، وكذلك الحال مع معهد الصحافة و علوم الأخبار في تونس و المعهد العالي للإعلام بالرباط، وقسم الإعلام بجامعة الرياض منذ عام ١٩٧٢ ،و في العراق مع قسم الصحافة بكلية الآداب في عام١٩٦٤ ليتحول الى كلية للإعلام بدءا من عام٢٠٠٢،وقد استعان القسم في سنواته الأولى بأساتذة من مصر على غرار الدكتور عبد اللطيف حمزة و الدكتور حسين عبد القادر.٣

و شهدت دولة الامارات العربية المتحدة نهضة في ظهور عدد من كليات الإعلام و الاتصال ،منها كلية علوم الاتصال و الإعلام بجامعة زايد،وكلية الاتصال بجامعة الشارقة، الى جانب عدد من الأقسام في عدد من الجامعات و الكليات بالدولة،في بيئة مساعدة على تطوير البحث و التدريب، من خلال قاعدة تكنولوجية متقدمة(استوديوهات و مخابر) ، ومؤسسات للإعلام(صحف ،محطات إذاعية، محطات تلفزيونية) و مدن للإنتاج الاعلامي.٤

وعموما يمكن حصر آليات بحوث الاعلام في المنطقة العربية في ما يلي:

١- الأقسام و المعاهد والكليات:

تلعب الأقسام و الكليات دورا مهما في مجال بحوث الاعلام و الاتصال عبر:

- التدريس الأكاديمي: ونقصد به الأقسام و الكليات و المراكز التي تدرس تخصصات الإعلام و الاتصال ،مانحة شهادات عليا وبخاصة في الدراسات العليا، من خلال الأطاريح والرسائل التي تهتم بتطبيق مختلف المناهج و تتعامل مع جملة من المفاهيم و النظريات.
- المجلات المتخصصة: لعبت المجلات المتخصصة في حقول الإعلام و الاتصال دورا بارزا في تطور الدراسات و المقاربات لمختلف الظواهر الإعلامية و الاتصالية ، أهمهاالمجلّات الواردة في الجدول التالي:

جدول يوضح أهم المجلات المتخصّصة في حقل الإعلام والاتصال في الوطن العربي

اسم المجلة	الجهة الصادرة	سنة بداية الصدور	رقمها الدولي ISSN	الموقع الالكتروني
١. مجلة البحوث الإعلامية	كلية اللغة العربية-قسم الصحافة والإعلام- جامعة الأزهر	١٩٩٢	٦٥٥٥٥	http://www.azhar.edu.eg
٢. المجلة التونسية للاتصال	معهد علوم الأخبار، تونس	١٩٨٢	٠٣٣٠-٠٨٤٨٠	http://www.ipsi.rnu.tn/
٣. المجلة الجزائرية للاتصال	كلية العلوم السياسية والإعلامية، جامعة الجزائر	١٩٨٤	١١١١-٤٤٧٩	http://www.univ-alger٣.dz
٤. المجلة العربية للإعلام والاتصال	الجمعية السعودية للإعلام والاتصال	٢٠٠٦	٣٦٢٠-١٦٥٨	samc.org.sa/arab-journal
٥. المجلة المصرية لبحوث الإعلام	كلية الإعلام، جامعة القاهرة	١٩٧٨		http://masscomm.cu.edu.eg/
٦. المجلة المصرية لبحوث الرأي العام	كلية الإعلام، جامعة القاهرة	٢٠٠١	٥٨٤٤-١١١٠	WWW.askzad.com
٧. دورية إعلام الشرق الأوسط	الجمعية العربية الأمريكية لأساتذة الاتصال	٢٠٠٤	٢٢٢٤-١٩٤٣ :(print) ٦٢٩X-Online) : SN٢١٥٢)	http://jmem.gsu.edu/
٨. مجلة الاتصال والتنمية	دار النهضة العربية / بيروت – لبنان	٢٠١٠	ISSN ٦١٤ -٤٠٢- ٣٢٠٤	http://ittisaltanmia.com/

٩. مجلة الباحث الاعلامي	كلية الاعلام/جامعة بغداد	٢٠٠٥	١٩٩٥-٨٠٠٥	http://www.comc.uobaghdad.edu.iq

جدول يوضح أهم المجلات المتخصّصة في حقل الإعلام والاتصال في الوطن العربي

٢-المراكز و المخابر المتخصصة:

ونعني بها المراكز المتخصصة في دراسات الإعلام و الاتصال بكليات الإعلام و الاتصال مثل: مركز دراسات الرأي العام بكلية الاعلام بجامعة القاهرة ،و مركز دراسات الجمهور بكلية الاتصال بجامعة الشارقة.

٣- المنظمات العربية:

ساهمت المنظمات و المؤسسات العربية في تطوير بحوث الإعلام و الاتصال من خلال المجلات و الدوريات و مختلف النشريات و الاصدارات، كما هو الحال مع اتحاد اذاعات الدول العربية الذي يقوم بإنجاز بحوث ودراسات ميدانية في مجال الراديو و التليفزيون ،كما يصدر مجلة "الاذاعات العربية" بصفة دورية ،أيضا الأمر ينطبق على "جهاز إذاعة و تلفزيون الخليج" من خلال الاهتمام ببحوث الاذاعة و التليفزيون في منطقة الخليج وعبر الدراسات المتخصصة المنشور في مجلة الجهاز" إذاعة و تلفزيون الخليج" ويهتم الجهاز بتشجيع البحوث و الدراسات الإعلامية المتعلقة بمنطقة الخليج وذلك بمنحه لجائزة سنوية هي: "جائزة البحوث و الدراسات "للبحوث و الدراسات المتميزة.

ومن أهم هذه المنظمات العربية نذكر ايضا:

- -المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم.٥
- -اتحاد اذاعات الدول العربية٦.
- - جهاز اذاعة و تليفزيون الخليج.٧

٤- المؤتمرات و الملتقيات:

تعقد سنويا بالمنطقة العربية عشرات المؤتمرات و الملتقيات و الندوات التي تتناول عدد من القضايا و الموضوعات ،وتقدم عشرات البحوث و الدراسات في مجال الإعلام و الاتصال ،وتساهم بدورها في إحداث تراكم رأسمال معرفي هام، في هذا الحقل من العلوم.

٥- الجمعيات العلمية:

اتجه المهتمون في السنوات الأخيرة بالبلدان العربية الى تأسيس الجمعيات و الروابط في علوم الإعلام و الاتصال، ومنها " الرابطة العربية للبحث العلمي وعلوم الاتصال"٨ ، التي من شأنها أن تساهم في توطيد الروابط العلمية و تبادل التجارب و الخبرات بين المهتمين و الباحثين في البلدان العربية ،وإحداث تقارب على الصعيد العلمي و المعرفي، والسعي نحو تأسيس مدرسة عربية في بحوث الإعلام و الاتصال على غرار ما يحدث في أروبا و الولايات المتحدة الأمريكية.

٦-البوابات و المنصات الاليكترونية:

أدى انتشار الانترنيت و شبكات التواصل الاجتماعي لاحقا الى ظهور مواقع عربية تهتم بنشر و مناقشة البحوث في مجال الاتصال و الإعلام، كما هو الحال مع "البوابة العربية لعلوم الاعلام والاتصال ٩٠ التي تقوم بنشر عدد من البحوث و الدراسات في علوم الإعلام

و الاتصال.

٧-المواقع الالكترونية الشخصية :

اتجه عدد من الأكاديميين و الباحثين العرب إلى تأسيس مواقع إلكترونية شخصية تهتم بنشر البحوث و الرسائل و الدراسات المتخصصة في مجال الإعلام و الاتصال، و المساهمة في تبادل البحوث و الخبرات والآراء حول القضايا المطروحة، سواء بالنسبة للمشكلات الاتصالية ،أو بالنسبة للمقاربات، و طرق التناول و المعالجة العلمية لها .

٨- مراكز البحوث و الدراسات في العلوم الاجتماعية و الانسانية :

إن البحث في علوم الإعلام و الاتصال ليس حصرا على المراكز المتخصصة في مجال الاتصال و الإعلام بل يمتد الى مراكز البحوث الاجتماعية و الإنسانية و النفسية و الأمنية وغيرها ،باعتبار علوم الاتصال علم متعدد الاختصاصات ، ويتقاطع مع علوم أخرى في المناهج وأدوات البحث والموضوعات و الإشكاليات . وتهتم جملة من حقول المعرفة وبخاصة في العلوم الانسانية و الاجتماعية بظواهر الاتصال من خلال مقاربات مختلفة ،هي في الأخير للمعرفة الانسانية، وإجابات وحلول لعدد من المشكلات و المسائل العلمية.

ثالثا: تأثير المدارس الغربية :

تنوعت نشأة بحوث الإعلام و الاتصال في البلدان العربية كما كان الحال مع نشأة وسائل الإعلام (الصحافة والراديو و التليفزيون)، وارتبط ذلك بالحقبات التي مرت بها المنطقة العربية ،بدءا من الوجود العثماني، ومرورا بالحقبة الاستعمارية، ووصولا الى مرحلة الاستقلال.

وتكفي الإشارة هنا الى النشأة الاستعمارية للصحافة بالجزائر و الراديو و التليفزيون، وبدرجة أقل في تونس و المغرب، كذلك عرفت الجزائر السينما بصفة مبكرة حيث تنقل الإخوان" لوميار " Les frères Lumière الى الجزائر لتصوير فيلم عن الجزائر في عام١٨٩٦,١٠ أما في المشرق العربي فكان للبنانيين الأثر الكبير في انتشار الصحف ومن بعدها الراديو و التليفزيون و السينما، وشكلت مصر في البداية البيئة الحاضنة لمختلف المبادرات والتجارب.

لكن رغم انتشار الصحافة ثم الراديو و التليفزيون لاحقا فإن تجربة البحث في علوم الإعلام و الاتصال بدأت في المنطقة بعد الاستقلال، حيث شرعت البلدان العربية في إنشاء الأقسام و المعاهد المتخصصة في التدريس الإعلامي، لتتجه لاحقا الى فتح مجال الدراسات العليا واعداد الرسائل العلمية، التي في اعتقادنا تعد النواة الأولى للبحث العلمي في هذا الحقل المعرفي. ولتطوير هذا الجانب اتجه عدد منها الى نظام الابتعاث الى الخارج للاستفادة و نقل التجربة البحثية لاحقا الى البلدان العربية. وعليه يمكنا القول ان بحوث الإعلام و الاتصال في البلدان العربية تمت و في ضوء هذه الظروف التاريخية في كنف مدرستين، هما المدرسة الأنجلوسكسونية في المشرق -بصفة عامة - و المدرسة الفرنسية في بلدان المغرب العربي، وسنحاول فيما يلي تحديد أهم ملامح وسمات كل المدرسة.

١-المدرسة الانجلوسكسونية :

تعتبر المدرسة الأمريكية رائدة في مجال البحث في علوم الإعلام و الاتصال، وتعود ارهاصات الاهتمام بدراسة الظواهر الإعلامية و الاتصالية الى الثلاثينات من القرن الماضي، وتحددت ملامحها في الخمسينات من نفس القرن، وساعد وجود الولايات المتحدة خارج ساحة الحربين الأولى و الثانية على نهضة بحوث الإعلام و الاتصال، الى جانب هجرة عدد من العلماء الألمان وبلدان شرق أروبا ،ونقل مراكزهم الى الولايات المتحدة ومزاولة نشاطهم البحثي هناك على غرار مدرسة فرانكفورت في البحوث الاجتماعية. كذلك كان للممارسة الديمقراطية و لبروز حركة الرأي العام و انتعاش الحياة السياسية، و ظهور ما بات يعرف بمراكز سبر الآراء (مع معهد قالوب في عام١٩٣٦) وازدهار الإعلان على السلع و الخدمات، الأثر الكبير في تطور البحوث، و ظهور حقل معرفي جديد هو حقل الإعلام و الاتصال،

له مناهجه وموضوعاته وأعلامه ، ونذكر منهم:

Harold Lasswell، Paul Lazarsfeld،Wilbur Lang Schramm،David Easton،Walter Lippmannو،Carl Hovland، Elihu Katz، Bernard Berelson، Wilbur Schramm.

وقد تعددت المشارب العلمية لهؤلاء العلماء ،وجمعت بين السياسة و الاجتماع و علم النفس و الاقتصاد وغيرها، وتنوعت اسهاماتهم ، من صياغة النماذج الى دراسة التأثير والدعاية، الى الرأي العام وقياسه ،فتحليل محتويات رسائل الاتصال وغيرها من الموضوعات.و قد ارتكزت بحوث الإعلام و الاتصال في المشرق العربي في سنواتها الأولى على هذه الاسهامات، من خلال أقسام الإعلام ،ثم كليات الإعلام، وأقسام الاجتماع ومراكز البحوث من خلال ترجمة بعض الأعمال ،مثل "حتى نفهم وسائل الاعلام" لمارشال ماك لوهان ١١ Marshall Macluhan. و مؤلف "الإعلام و التنمية الوطنية" لولبور شرامW-SCHRAMM-١٢ .

ثم جاءت لاحقا مرحلة التأليف وإجراء البحوث ،وقد مرت بالمراحل التالية:

١. مرحلة الاهتمام بالجوانب التاريخية لوسائل الاعلام.

٢. مرحلة الدراسات الامبريقية من خلال الدراسات الميدانية و دراسات تحليل المحتوى.

٣. مرحلة دراسات وسائل الإعلام كمؤسسات.

٤. مرحلة الاهتمام بدراسة تكنولوجيات الاتصال الحديثة من خلال قياس التأثير و طرق الاستخدامات و الاشباعات.

وقد ساعد على تطور البحوث:

- تنامي عدد اقسام الإعلام و الاتصال في الجامعات.
- تنامي مراكز البحوث و الدراسات.
- انتشار وسائل الإعلام.
- انتشار تكنولوجيات الاتصال.

٢- المدرسة (الفرنسية)الفرنكوفونية.

تشير الدراسات والأبحاث الى تأخر المدرسة الفرنسية عن نظيراتها الأمريكية في مجال بحوث الإعلام و الاتصال ،ويعود الفضل في تأسيس هذا الحقل المعرفي في فرنسا الى جهود المؤسسين: Roland Barthes، Jean Mariat، Robert Escarpit بالإضافة الى Abraham MOLES وعمل الجميع وبدرجة أقل" ابرهام مولس" على الحصول على اعتراف من الأوساط الجامعية بهذا الاختصاص المعرفي الجديد، والذي بدأ من خلال بعض الدروس في الجامعات مثل الصحافة و مهنة الكتاب و النشر، ومحاضرات تقنيات التعبير و الاتصال، و عمل الفريق السابق على اقناع المجلس الاستشاري الجامعيC.C.U بإنشاء شعبة لهذا الاختصاص. وفي أواخر ١٩٧١ قدم Robert Escarpit طلبا من أجل انشاء شعبة الإعلام و الاتصال في المجلس الاستشاري الجامعي ،ولجنة للإعلام و الاتصال في المركز الوطني للبحث العلميC.N.R.S)) وقد ساند هذا المطلب عدد من المجالس الإدارية، في عدد في الجامعات الفرنسية، وفي ٢٠جانفي من عام ١٩٧٥ أصبحت شعبة الإعلام و الاتصال إحدى شعب المركز الوطني للبحث العلمي تحت رقم "الشعبة٥٢".١٣ وحدد المجلس الوطني للجامعاتCNU مجالات علوم الاعلام و الاتصال لاحقا في الشعبة ٧١ في المحاور التالية:١٤

- دراسة مفاهيم علوم الإعلام و الاتصال.
- دراسة استخدامات محتويات الإعلام و الاتصال.
- دراسة الفاعلين ،افرادا ومؤسسات، في مجال الإعلام و الاتصال.
- دراسة نظم الإعلام و الاتصال.
- دراسة و سائل الإعلام و الاتصال و الصناعات الاتصالية و الثقافية.

وأشار المجلس الى علاقة هذا الاختصاص- ضمن خصوصية الـــinterdisciplinary- بحقول معرفية أخرى منها: القانون، العلوم

السياسية و الاقتصادية ،وعلم التسيير، والآداب، وعلوم التربية والأنثروبولوجيا، و التاريخ و الجغرافيا وعلم النفس، واكد إمكانية ادراج بحوث من هذه الحقول ضمن مجال الإعلام و الاتصال عندما تتناول الظواهر والموضوعات الاتصالية وفق شروط حددها المجلس .

ولا يختلف الوضع بالنسبة لبلدان المغرب العربي، حيث بدأت بحوث الإعلام و الاتصال في السبعينات من القرن الماضي خاصة من خلال ابتعاث أو هجرة عدد من الطلاب لدراسة علوم الإعلام و الاتصال في الجامعات الفرنسية، وتنوعت الدراسات لتشمل المحاور التالية:

- دراسات تاريخ وسائل الإعلام وبخاصة في بلدان المغرب العربي المستقلة حديثا.
- دراسات وصفية و مرفولوجية لوسائل الإعلام و الاتصال في دول المغرب العربي.
- دراسات تحليل محتويات وسائل الإعلام في البلدان الجديدة.
- دراسات جمهور وسائل الإعلام في بلدان المغرب العربي.

ولعب المبتعثون عند عودتهم الى بلدانهم ،دورا بارزا في التأسيس لبحوث الإعلام و الاتصال ، وتم ذلك عن طريق :

- التدريس و الإشراف على الرسائل العلمية.
- انشاء مراكز ومخابر في الإعلام و الاتصال.
- تأسيس المجلاّت العلمية المتخصصة في علوم الإعلام و الاتصال، على غرار "المجلة التونسية الاتصال" و"المجلة الجزائرية للاتصال".
- ابرام اتفاقيات تعاون في مجال البحث العلمي مع الجامعات والمعاهد و المدارس الفرنسية المتخصصة في علوم الإعلام و الاتصال.

و في هذا الصدد تشير الاحصائيات و الأرقام الى استمرار تفضيل الطلاّب المغاربة الوجهة الفرنسية للدراسة بالخارج، فقد بلغت على سبيل المثال نسبة الطلاّب الجزائريون بفرنسا في مطلع الألفية الحالية حوالي ٩٢٪ من مجمع الطلبة المتواجدين بالخارج ،مقابل ٢,٤٪ في بريطانيا وبنسبة أقل في الولايات المتحدة الأمريكية.١٥

رابعا: تأثير المدارس الغربية في المفاهيم و المناهج:

مما لاشك فيه أن بحوث الإعلام و الاتصال في المشرق و المغرب العربيين قد تأثرت بالمفاهيم و المناهج الغربية سواء عن طريق النقل أو المحاكاة، ومن غير شك أيضا أن ذلك ساهم في إحداث القطيعة المعرفية لسنوات بين المشرق العربي ومغربه ،الى جانب العوامل السياسية بعد الاستقلال التي وضعت العديد من الحواجز، من خلال هيمنة البعد القطري و الوطني على البحوث في مقابل غياب البحوث العربية ،ماعدا المحاولات التي قامت بها بعض المؤسسات العربية في اطار ما اطلق عليه بالإعلام العربي المشترك على غرار ما قامت به المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم واتحاد اذاعات الدول العربية.

وفي ضوء ما تقدم ظل المشرق و الغرب العربيين يدوران في فلك المفاهيم الغربية للإعلام والاتصال و في مناهج وأدوات البحثية لبيئة تختلف في تفاصيلها عن البيئة العربية. والأكثر من ذلك أن(التبعية) في مجال بحوث الإعلام و الاتصال زادت في التباعد بين جزئي الوطن العربي، واتخذت هذه القطيعة المعرفية سبيلين ،الأول على مستوى المفاهيم والثاني على مستوى المناهج و الأدوات .

- **المفاهيم و المصطلحات:**

تنهل بحوث الاعلام والاتصال في البلدان العربية من منهل المدرسة التي تنتمي لها سواء عن طريق النقل الحرفي للمصطلح أومن خلال تعريبه ، مع الاختلاف بين المشرق و المغرب باختلاف نمط واسلوب التبعية. وتشترك جميعا في النقل الحرفي لعديد من المفاهيم و المصطلحات. وللتدليل على ذلك نذكر في الجدول الموالي –و على سبيل المثال وليس الحصر– جملة من المصطلحات و المفاهيم المتداولة حرفيا في بحوث العلوم الانسانية و الاجتماعية ومنها بحوث الإعلام و الاتصال:

-جدول يوضح بعض الأمثلة للترجمة الحرفية للمفاهيم و المصطلحات

المفهوم (الترجمة الحرفية)	المفهوم في اللغة العربية
الساتل	القمر الصناعي
التيمات	الموضوعات
الابستمولوجيا	نظرية المعرفة
السيميولوجيا	علم العلامات و الإشارات
السيميوطيقا	علم يدرس أنساق العلامات والأدلة والرموز.
الجندر	النوع أو الجنس
السوسيوديمغرافية	البيانات الشخصية
التوك شو	البرنامج الحواري
الراديو	المذياع
المونتاج	التوليف و التركيب
الميكساج	المزج والدمج أو الخلط
السيناريو	النص المرئي و المسموع
البرايم تايم	الذروة في المشاهدة أو الاستماع
الفيلم	الرواية المصورة
الفلاش	الومضة
المونشيت	العنوان الرئيسي

- **المناهج والأدوات:**

من خلال الاطلاع على تراث المدرسة المشرقية و المغربية في بحوث الإعلام و الاتصال، يمكننا التأكيد على تأثير المدرسة الغربية الذي يمكن اختصاره في اتجاهين هامين هما:

- اتجاه المدرسة المغربية نحو البحوث و الدراسات النظرية من خلال الاهتمام بدراسة موضوعات مثل(اللغة و اللسانيات وتحليل الخطاب) ،وغيرها من الموضوعات.
- اتجاه المدرسة المشرقية نحو الدراسات الميدانية ،وحتى تحليل المضمون في هذه المدرسة ينحى منحى ميدانيا من خلال التحليل الكمي للنص أو المادة المحللة في الشكل و المضمون، تأثرا بتعريف Berlson في عام ١٩٥٢ وبما قدمته المدرسة الامريكية حيث اهتمت بحوث الإعلام و الاتصال بالتحليل الإحصائي أكثر من نظيرتها الفرنسية، والسبب في ذلك يعود الى تأثر كل بيئة بحثية بجذورها الثقافية، حيث تعكس البحوث في فرنسا ما تزخر به الثقافة الفرنسية في مجال الآداب و الفنون، بينما تنحى المدرسة الأمريكية نحو الجوانب المادية وبالتالي تحويل كل شيء الى أرقام واحصائيات ،عاكسة بذلك القيم الرأسمالية والتجارية التي قامت عليها الحضارة الأمريكية ، ومنها تركيز اهتمام البحوث على قياس الرأي العام، وعائدات وسائل الإعلام و الإعلان، باعتبار أن النشاط الإعلامي نشاط صناعي استثماري يخضع لقوانين السوق و قوانين العرض والطلب.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه في الأخير هل دوافع البحث في علوم الإعلام و الاتصال و القيم التي تحكمها هي نفس الأبعاد و القيم في البلدان العربية، فبالتأكيد لا. من هنا وجب القول أن بحوث الإعلام في المنطقة لابد أن تتجه مستقبلا نحو معالجة الظواهر و المشكلات الإعلامية و الاتصالية مع مراعاة البيئة الحاضنة لها من حيث القيم والخصوصية، مع التفتح على الآخر وليس من خلال عمليات النسخ و السلخ و المسخ التي لا تساعد على تكوين تراكم معرفي أو بحثي يساهم في تحقيق الوثبة العلمية المنتظرة.

خامسا : نحو مدرسة عربية في مجل بحوث الإعلام و الاتصال:

تجاوزت ثورة تكنولوجيا المعلومات و الاتصال بعدي الزمان و المكان، وفتحت الفضاءات التي ظلت مغلقة لعقود بين الدول ، وتحقق ما يمكن أن نطلق عليه(وبتحفظ) التدفق الحر للبيانات و المعلومات(مفهوم أمريكي)، واستفادت المنطقة العربية من عائد استخدام التكنولوجيا في نقل و تبادل المعرفة على الصعيدين الرسمي و غير الرسمي. وعليه فقد ظهرت العديد من المنصات و المواقع المتخصصة في نشر و تداول البحوث و الدراسات ، كالبوابة العربية لعلوم الاعلام و الاتصال، وعشرات المواقع للباحثين ،بالإضافة إلى الجمعيات العلمية المهتمة بالبحوث والدراسات الإعلامية، على غرار "الجمعية السعودية لأساتذة الاعلام و الاتصال" http://www.sems.org.s و" الرابطة العربية لعلوم الاتصال". هذا فضلا عن مساهمات المنظمات العربية مثل "المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم" و " اتحاد اذاعات الدول العربية. هذه الأخيرة التي تسعى إلى تنمية بحوث الإذاعة و التليفزيون المشتركة من خلال استقطاب المختصين و الباحثين العرب للاشتراك في انجاز بحوث تتناول قضايا الإذاعة و التلفزيون في المنطقة العربية. كذلك تساهم بعض المراكز ذات الاهتمام المتعدد بتشجيع و نشر الدراسات و البحوث العربية ذات البعد العربي، كما هو الحال مع "مركز دراسات الوحدة العربية" من خلال سلسلة من الكتب في علوم الإعلام و الاتصال لعدد من الباحثين و الدارسين العرب.١٦

سادسا : مؤشرات نشوء مدرسة عربية في علوم الإعلام و الاتصال:

- **المؤشرات الثقافية و اللغوية:**

اتجهت العديد من الجامعات في البلاد العربية منذ الستينيات من القرن الماضي الى تعريب عملية التعليم و البحث العلمي و بخاصة في مجال العلوم الانسانية و الاجتماعية ومنها علوم الإعلام و الاتصال، حيث يتم التدريس في الغالب باللغة العربية و تعقد المؤتمرات باللغة العربية، وبطبيعة الحال يتم البحث في عدد لابأس به من الموضوعات باللغة العربية، وهذه مؤشرات بإمكانها المساهمة في تشكيل مدرسة عربية في مجال علوم الإعلام و الاتصال. وتندرج عملية تعريب البحث العلمي ضمن منظومة تعريب مختلف مناحي الحياة العلمية و الثقافية ، وضمن منظور استرجاع مظاهر الشخصية و الهوية الوطنية و القومية ،التي تعرضت للمسخ و التغريب طوال سنوات الحماية و الاستعمار.

- **-المؤشرات البحثية:**

إن واقع بحوث الإعلام و الاتصال من واقع البحث العلمي بصفة عامة في البلاد العربية ،فقد جاء في التقرير العربي الثالث للتنمية الثقافية بأن عدد اعضاء هيئة التدريس في الجامعات العربية يقدر بحوالي٣٠٠,٠٠٠،وإذا كان عضو هيئة التدريس يخصص٣٠٪ من وقت العمل للقيام بأنشطة مرتبطة بالبحث العلمي، يكون لدى الجامعات العربية خزّان بشري يساوي٩٠,٠٠٠باحث بدوام كامل ،ينتظر أن ينجز اضعاف ما تنجزه الجامعات الكندية أو الفرنسية، لكن الواقع بعيد عن ذلك.١٧ولا نملك احصائيات دقيقة حول عدد البحوث المنجزة في حقول علوم الإعلام و الاتصال في البلاد العربية، لكن يمكننا القول ان التراكم البحثي في هذا المجال ينمو ويتطور من سنة الى اخرى بفعل تعدد مراكز انجاز البحوث و الدراسات من جامعات و اقسام متخصصة ،الى جانب الدور الذي تقوم به المراكز المتخصصة ومختلف الجهات التي اشرنا لها سابقا، وهي مؤشرات مشجعة على تطور البحث العلمي في حقول الإعلام و الاتصال.

- **-المؤشرات التكنولوجية.**

حقق العرب تطورا ملموسا في مجال تكنولوجيات المعلومات و الاتصال. حيث تفيد التقارير والدراسات المتخصصة الى أن عدد مستخدمي الانترنت في العالم العربي سيبلغ ١٩٧ مليون شخص في عام ٢٠١٧. ففي دول الخليج ستصل نسبة مستخدمي الانترنت الى ٤٠ مليون شخص، بما يمثل نسبة ٦٧٪ خلال السنوات الثلاثة القادمة. أيضا تشير التقارير الى أن خمس جامعات عربية (أربع جامعات سعودية وأخرى مصرية) دخلت في التصنيف الأكاديمي لقائمة شنغهاي.١٨هذه الاحصاءات و الأرقام تدفعنا الى القول بأن الحتمية

التكنولوجية ستساعد على مد الجسور بين المهتمين بالبحث في علوم الإعلام و الاتصال، كما ان سمات تكنولوجيات الاتصال الحديثة كالتفاعلية و اللاتزامنية و السرعة و الانتشار ستمكن الباحثين في علوم الإعلام و الاتصال في البلدان العربية من تطوير طرائق البحث، و من تبادل الخبرات و التجارب بعيدا عن عوائق الزّمان و المكان التي طبعت تجارب البحث في العقود القليلة الماضية.

الخاتمة :

نختم هذه الورقة بما جاء في إحدى توصيات لإحدى الدراسات التي تناولت من خلال المقارنة بحوث الإعلام في مصر وأمريكا عبر المقارنة بين مجلة "بحوث الإعلام" المصرية و مجلة" الصحافة و الإعلام" الامريكية، حيث أوصت بما يلي: "ضرورة حرص المجلة المصرية لبحوث الإعلام على الانتظام في الصدور و التحسن شكلا و مضمونا، وأن تقتدي بالمجلة الأمريكية في كل شيء، شكلا ومضمونا وإدارة"...و اضافت الدراسة: "وأن تنشر الإعلانات المناسبة اقتداء بالدورية الأمريكية."[١٩] وفي اعتقادنا هي توصيات تكرّس مفهوم التبعية في مجال بحوث الإعلام والاتصال في اسمى صوره، بعد أكثر من نصف قرن من الاستقلال و استكمال مظاهر السيادة.

من هنا نرى ضرورة أن تتجه بحوث الإعلام و الاتصال في البلدان العربية إلى تشجيع الدراسات البينية و خاصة المتعلقة بالاهتمامات والقضايا المشتركة، دون إهمال البحوث القطرية ذات الاهتمام المشترك، وفي الوقت نفسة توسيع دائرة التعاون مع هيئات البحث العلمي ذات البعد العالمي، وبهكذا استراتيجية يمكننا الحديث عن بحوث إعلام عربية موحدة أو مدرسة عربية أصيلة في بحوث الإعلام و الاتصال.

المراجع:

١- سمير محمد حسين: الإعلام و الاتصال الجماهيري و الرأي العام، عالم الكتب،القاهرة،١٩٨٤،ص٢٤٨. -١

٢ - التعريف من للباحث

٣ - http://www.comc.uobaghdad.edu.iq.

٤ - لمزيد من التفاصل راجع المواقع الاليكترونية للجامعات الإمارتية منها :جامعة زايد، جامعة الامارات، جامعة الشارقة... و العديد من مؤسسات التعليم في علوم الاعلام و الاتصال بالدولة.

٥ -http://www.projects-alecso.org

٦ - http://www.asbu.tn

٧ - http://www.gulfvision.org.sa/navigations.html

٨. - تأسست في بيروت بلبنان في ١٧ابريل٢٠١٤

٩- الموقع الاليكتروني للبوابة http://www.arabmediastudies.net

١٠ - http://www.lemidi-dz.com١٨-٠٢-٢٠١٢

١١ -. Marshall Macluhan : Pour comprendre les médias. Les prolongements technologiques de l'homme. Bibliothèque Québécoise. Sciences humaines. ١٩٩٣.

١٢ - W-SCHRAMM: Mass Media and National Development: The Role of Information in the Developing Countries. Stanford University Press. ١٩٦٤.

١٣ - Hélène Cardy. Pascal Froissart. La recherche en communication en France. Tendances et carences. MEI ﴿ Médiation et information. ٢٠٠١.

١٤ - http://www.cpcnu.fr/web/section٢٠١٦/٠١/١٩/٧١-.

١٥ - Ibid.

١٦ - انظر الروابط الاليكترونية:

الجمعية السعودية لأساتذة الاعلام و الاتصال: http://www.sems.org.sa/

الرابطة العربية لعلوم الاتصال: http://www.arabaacs.com.

"المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم: http://www.projects-alecso.org

اتحاد اذاعات الدول العربية: http://www.asbu.net/

مركز دراسات الوحدة العربية: www.caus.org.lb/

١٧ - التقرير العربي الثالث للتنمية الثقافية، مؤسسة الفكر العربي، بيروت، الطبعة الولى،٢٠١٠،ص:٥٢.

١٨ - http://www.elaph.com/Web/opinion/٩٥٩٤٤٦/١١/٢٠١٤.html٩٥٩٤٤٦/١١/٢٠١٤

١٩- محمود عبد الرؤوف كامل: اتجاهات بحوث الصحافة و الاعلام في أمريكا ومصر-دراسة تحليلية مقارنة استبصاريه لدوريتي الصحافة والإعلام الأمريكية والمجلة المصرية لبحوث الإعلام"، المؤتمر العلمي الرابع لأكاديمية أخبار اليوم،٢٣-٢٥ اكتوبر٢٠٠٧، القاهرة،ص،٢٩-٣٠.